صور تطبيقية للقيم الاجتماعية

- المال فى خدمة المجتمع .
- التسامح حتى مع القتل .
- فلسفة الحرب والسلام .
- مجتمع النظافة والنظام .
- الرزق الحلال الطيب .
- مجتمع الحب والتآلف .

المال فى خدمة المجتمع

حين نحاول إيجاد صيغة لتنظيم العلاقة بين الدين والمعاملة ، فإننا قد نصوغها على النحو التالى :

أولا : الانسان يمارس حياته على الأرض .

ثانيا : هو صائر بعد ذلك إلى الآخرة.

ومن هنا فإنه محتاج الى تشريع ينظم له حياته ، ومحتاج الى منهج يهيئه لآخرته ، لأن الإسلام يحكم الدنيا بالدين ، ويهيئ الحياة للآخرة . ولعل المال أبرز الأسس التى ترتكز عليها معاملات الناس فى الدنيا ، فالمال كما يقولون عصب الحياة ، والإنسان بنصّ القرآن الكريم يحب المال حبا جما .. والإسلام لا ينكر على الإنسان حبه للمال ، فإن هذه طبيعة مغروسة فيه ، بل إنه ليدعوه إلى الكسب والتثمير .. ونعم المال الصالح للرجل الصالح .

ولكنه يدعوه إلى جانب ذلك أن يوظف هذا المال فيما وضع له ، وأن يستخدمه لأداء دوره الاجتماعى فى التكافل بين الناس ، وان ينفى عنه السحت الذى يفسده ثم يكون سببا فى هلاكه ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا .

ومن هنا نهى الله عن الربا ودعا إلى الصدقة بقوله : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) ، ووازن بين أثر كل منهما بقوله : (وما أتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) .

ولقد أراد الله سبحانه أن يرفع الناس إلى مستوى من التعامل الإنسانى الكريم ، فشبه علاقته بهم بالقرض حيث قال : ((من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون)) . وليس الله محتاجا إلى عباده ليقترض منهم ، فلقد ((كفر الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء)) . ولكنه أراد أن يعلمهم القرض الحسن ، وأن يجعلهم يطبقون هذا العلم فى المعاملات فيما بينهم .

ولقد أراد الحسن البصرى أن يذهب إلى تحريم الربا مذهبا بعيدا فقال : ((إذا

كان لك على رجل دين ، ، فما أكلت من بيته فهو سحت ، وهذا من قوله صلى الله عليه وسلم : ((كل قرض جر نفعا فهو ربا)) .

وهو يهدف من هذا الاتجاه ألا يستغل الدائن حاجة المدين فيجعل دينه ضاغطا على عنق صاحبه ، وألا يطارده بهذا الدين فيأخذ منه بالوسائل المباحة ما يعدل الربا المحرم ، ومنها الطعام الذى يأكله فى بيته .

وهذا اتجاه يحاول تأكيد سد الذرائع ، فقد يأكل الدائن عند المدين وهو ينوى أنه بهذا الأكل يستثمر دينه عند صاحبه ، فيعد ذلك منفعة محرمة من وراء القرض المشروع .

ولكن ليس معنى ذلك أن يقاطع الدائن المدين وألا يتزاور كل منهما ، فإن الإسلام كما دعا إلى التكافل والتعاون وتنفيس كربات المكروبين حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من نفّس عن مؤمن كربة من كربات الدنيا ... نفّس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة)) ... فقد دعا إلى التزاور والتواد وما يترتب عليهما من إكرام الضيف والقيام بواجبات الضيافة ((ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)) .

وإن المودة بما فيها من تبادل الهدايا والطعام صورة من صور المحبة ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب .. فإن شاء طعم ، وإن شاء ترك)).

وما دامت المعاملات قائمة بين الناس على أساس من التكافل والحب ، فإن النيات الطيبة تحكم تصرفاتهم وتصلح أساسا لتقييم معاملاتهم .

وبذلك يمتزج معنى المعاملة بمعنى العبادة : فتسترشد المعاملة بقيم العبادة ، وتدوم العبادة بدوام المعاملة ، وهذا هو المجتمع الذى يريده الإسلام : الأيدى التى تدبر المال أيد نظيفة ، والضمائر التى تصرّفه ضمائر مخلصة ، والمجتمع الذى يتعامل به مجتمع متكافل .

وتلك هى التجارة الرابحة : ﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم .. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير

لكم إن كنتم تعلمون ﴾ . وإن الإنسان يحرص فى هذه الحياة على شيئين : رزقه وأجله ، والرزق معدود تكفل الله به فى مثل قوله تعالى :

﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ﴾ .

والأجل محدود حدده الله فى مثل قوله ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

ولكن لهفة الإنسان على الرزق تجعله يكدح لتحصيله ، فإذا صار فى يده اشتدت قبضته عليه ، وضنّ بإنفاقه حرصا منه على الاحتفاظ به .

وحرصه كذلك على اجله يدفعه بعيدا عن تيارات الحياة ، وينأى به عن المواطن التى يتوقع فيها الخطر . ولقد صور الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحرص على هاتين الناحيتين فى قوله : (يهرم إبن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر) . وهاتان الظاهرتان تلحقان كثيرا من الناس حتى تكون ملامح سيئه فى أخلاقهم : أنهم يحرصون على أموالهم حتى يتحول هذا الحرص بخلا يغل أيديهم عن الانفاق والتكافل مع عباد الله ، ويحرصون على أجالهم حتى يتحول هذا الحرص جبنا يقعد بهم عن الجهاد فى سبيل الله .

ولقد روى عن عمر قوله : إذا ضنّ الناس بالدينار والدرهم وتركوا الجهاد فى سبيل الله انزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم) .

فكأنه قد جعل الإمساك عن الانفاق والقعود عن الجهاد نذيرا بوقوع البلاء ... وكأنه قد جعل ذلك أيضا مظهرا لإنفصام عرا الدين ، فإذا حل البلاء فإن الله لا يرفعه الا إذا رجع الناس إلى أنفسهم وراجعوا دينهم .

وقد يعلم الناس أن تمتعهم بأموالهم محدود بحياتهم على هذه الأرض ، وأن هذه الحياة وإن طالت فإنها قصيرة ... وقد يعلمون ذلك بعقولهم ، ولكن هذا العلم لا ينعكس على سلوكهم ، فهم يكنزون المال حتى يتحول وبالا فيقال لهم ﴿ هذا ما كنزتم لانفسكم

فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ وهم يضنون بأعمارهم حتى يجبنوا عن لقاء عدوهم فيصدق فيهم قول الله : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا .. يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ﴾ .

ولقد رسم رسول الله صورة للحرص على المال بقوله ﴿ يقول ابن آدم مالى مالى ... وهل لك يا ابن أدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو تصدقت فأمضيت .. وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس ﴾ . أما الجهاد فقد جعله الرسول ذروة سنام الأمر كله ، لأن العقيدة اذا كانت تشبه البناء ، فإن الجهاد يشبه السور الذى يحيط بهذا البناء ويحميه .

وكما أن للعقيدة أتباعا يؤمنون بها ، فإن لها اعداء يكيدون لها ، ومن هنا شرع الجهاد فريضة مكتوبة على المؤمنين ليصدوا به عدوان الكافرين ..

ولئن كان جهاد المجاهدين محنة تبتلى بها نفوسهم ، فإنه فى ميزان الله درجات تعظم بها منازلهم ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم).

وان منازل الشهداء فى الجنة أعظم المنازل عند الله لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .. فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاّ وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما)) .

التسامح حتى مع القتل

الأصل فى حكم القاضى أنه : (مشمول النفاذ) ، لأنه لم يصدره إلا وقد قلّب الأمر على كل الوجوه ، فسأل الخصوم ، وناقش الشهود وطلب البيّنة .

ولكن قد تعرض أمور للحكم بعد صدوره فتعطله أو تغير مساره أو غير ذلك ، فقد يتراجع الشهود عن شهادتهم - مثلا - بعد صدور الحكم وقبل نفاذه ، وحينئذ فإن المحكوم به إذا كان حدا أو قصاصا فإنه لا يجوز للقاضى استيفاؤه باتفاق الفقهاء الأربعة لأن الحدود تدرأ بالشبهات[1].

أما إذا كان المحكوم به غير حد و لا قصاص ، فليس للقاضى أن ينقضه ، بل عليه أن يستوفيه ويعطيه للمحكوم له ، ثم يضمن الشهود المحكوم به للمحكوم عليه .

وهذا ما ذهب إليه الإمام أحمد و مالك والشافعى و أبو حنيفة وغيرهم [2] .

واذا رجع الشهود عن شهادتهم بعد صدور الحكم وتنفيذه ، فإن الشهود يضمنون ما أتلفوا للمشهود عليه من مال ، كما يضمنون قيمة الأضرار المترتبة على الحكم

هذا وإن كان المحكوم به حدا أو قصاصا فإن الشهود عند كثير من الفقهاء يؤخذون بالقود وإن تعمدوا الشهادة وقتل المحكوم عليه أو قطعه ، ويؤخذون بالضمان إن أخطئوا فى الشهادة .

وقد ذهب إلى هذا الرأى الحنابلة ابن أبى ليلى والاوزاعى والشافعىوأشهب من المالكية[3].

رجوع ولىّ الدم : وكما يجوز أن يرجع الشهود عن شهادتهم بعد الإدلاء بها ، فقد يرجع ولى الدم نفسه عن دعواه . فإذا حكم الحاكم على رجل بالقتل بناء على دعوى من ولى

---

(١) انظر : المغنى جـ ١٠ /٢١٩ - ٢٢٠ ، مغنى المحتاج جـ ٤ /٤٥٧ ، منتهى الارادات جـ٢ /٦٧٦.

(٢) انظر : حاشية ابن عابدين جـ٣/٥٠٤ - ٥٠٥ ، شرح فتح القدير جـ٦/٨٦ ، مغنى المحتاج جـ٤ /٤٥٧ ، قليوبى وعميرة جـ٤/٣٣٢/٣٣٣، مجلة الاحكام العدلية مادة ٤٧٢٩ .

(٣) انظر : المقنع جـ٢ / ٧١٨ ، أسهل المدارك جـ٣ / ٢٢٧ ، وطالب أولى النهى ج ٦ / ٦٤٥ .

الدم ، ثم تراجع ولىّ الدم وحده معترفا بأن الدعوى كانت خطأ ضد المدعى عليه ، وأنه فى الحقيقه لم يكن قاتلا .... فإن على ولى الدم نفسه الدية إن كان قد أخطأ ، وإن كان متعمدا فإن عليه القود لأنه المباشر للقتل .

وحتى إذا رجع ولى الدم عن دعواه كما رجع الشهود عن شهادتهم ، فإن فى مذهب الإمام الشافعى روايتين :

الأولى : وهى الأصح - : يجب القصاص على ولى الدم وحده للمباشرة ، وهم معه كالممسك للقاتل .

والثانية : ولى الدم والشهود شركاء لتعاونهم فى القتل ، فعليهم القود ، وإن آل الأمر الى الدية فعليهم النصف وعلى الولى النصف و إذا تمالأ ولى الدم مع الشهود والقاضى على الحكم بقتل إنسان أو قطعه ثم تراجعوا عن ذلك ، وقالوا إنهم تعمدوا ذلك فإنهم يقادون جميعا به فيقتلون إذا كان المحكوم به قتلا ، ويقطعون إذا كان المحكوم به قطعا[1] .

عفو ولىّ الدم :

وإن رجوع ولىّ الدم غير عفوه : فالرجوع - لما بينا - يكون اعترافا بخطئه ورجوعا عن دعواه ، أما العفو فإنه تنازل عن حق بعد ثبوته . ولقد ذهب الحنفية الى أن القصاص واجب عينا ، بل الواجب أحد الشيئين غير عين : إما القصاص وإما الدية ، وللولى خيار التعيين إن شاء استوفى القصاص وإن شاء أخذ الدية من غير رضا القاتل.

فعلى هذا القول إذا مات القاتل يتعين المال واجبا ، فإذا عفا الولى سقط الموجب اصلا .

وفى قول القصاص واجب عينا ، لكن للولى أن يأخذ المال من غير رضا القاتل .

وإذا عفا فإن له أن يأخذ المال ، وإذا مات القاتل سقط الموجب أصلا عملا بقوله تعالى : ((فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان)) .

---

(١) انظر : مغنى المحتاج جـ٤/٤٥٧ - ٤٥٨ ، الاختيار لتعليل المختار ج٣ /١٥٥ .

غير أن الحنفية يحتجون بقوله تعالى : ٠(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى)) .

وهذا يفيد تعين القصاص موجبا ، ولو كان على القاتل أحد حقين فإنه لا يصدق القول على أحدهما بأنه أوجب من الآخر .

وإذا كان القصاص واجبا فليس لصاحب الحق فيه أن يعدل عنه إلى غيره [١]٠ .

وإذا عفا ولى الدم عن القود إلى غير مال وصرح بذلك ، فإذا كان الواجب القصاص عينا فلا مال له وقوله يعد لغوا ، وإذا كان الواجب أحد شيئين – القصاص والمال – سقط القصاص والمال جميعا [٢] .

ولقد قال الشافعى وأحمد وأبو ثور وأكثر فقهاء المدينة من أصحاب مالك وغيره إن ولى الدم بالخيار إن شاء اقتص ، وإن شاء أخذ الدية رضى القاتل أو لم يرض وأختلف العلماء فى المقتول عمدا إذا عفا عن دمه قبل أن يموت : هل ذلك جائز على الأولياء ؟

قالت طائفة منهم الشافعى وهو فى العراق : لا يلزم عفوه وللأولياء حق القصاص أو العفو .

هذا ويرى مالك أن ولى الدم ليس له الا أن يقتص أو يعفو غير دية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كتاب الله القصاص)

فعلم بدليل الخطاب أنه ليس له إلا القصاص [٣]٠ .

---

(١) انظر : بدائع الصنائع جـ٧ . كتاب الجنايات / ٢٣٣ وما بعدها القواعد لابن رجب الحنبلى ، قاعدة ١٣٧ ص٣٢٨ .

(٢) القواعد السابقه ، صـ ٣٣٠ .

(٣) بداية المجتهد . لابن رشد جـ ٢ . كتاب الجنايات / ٢٩٦ وما بعدها .

فلسفة الحرب والسلام فى الإسلام

يميل الإنسان إلى السلام بطبيعته ، ويلجأ إلى الحرب لضرورته وهو بين السلام والحرب يمارس حياته ، ويعمر أرضه ، ويتعامل مع غيره من الناس :﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾[1] .

ولقد جاء الإسلام دعوة هادية إلى الخير مرشدة إلى عبادة الله الواحد ، مسوقة إلى عقول الناس ليفكروا ، وإلى عواطفهم ليشعروا وإلى قلوبهم ليؤمنوا ، فكان من الطبيعى أن يدعو الرسول الناس إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجادلهم بالتى هى أحسن وحين كان يشق عليه عناد المشركين وإعراض المكذبين ، كانت الآيات القرآنية تنزل عليه لتخفف عنه هذه المشقة ، وتثبت قدميه على طريق الدعوة ، وتوضح له حدود رسالته التى هى البلاغ وليست الإكراه : ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ﴾[2] . ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾[3] .

﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾[4] .

فكان السلام بين يدى الدعوة الى الإسلام يمهد لها الطريق إلى القلوب ، ويفتح لها مجال المحاورة الهادئة التى يمكن أن نستشفها من مثل قول الله عز وجل : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[5] .

فالدعوة هى إلى (كلمة سواء) ... أى هادئة عادلة ، والغاية هى تحرير الفرد من عبادة الإنسان الى عبادة الله ، والنهاية هى المخاصمة السلمية : يعرض فيها أهل

---

(١) البقرة : ٢٥١ .

(٢) طه : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) الكهف : ٦

(٤) يونس : ٩٩

(٥) آل عمران : ٦٤ .

الكتاب فيعلن فيها المسلمون تمسكهم بالإسلام ، ولكن هذه الدعوة المسالمة ، كغيرها من الدعوات ، لا تستقر لها الطبيعة ، ولا تنفسح لها الأرض ، ولكن يضع المكذبون فى طريقها الأحجار وبيذورن أمام دعاتها الأشواك ، وهنا يأذن الله لعباده أن يمهدوا الطريق لدينه ، وأن يزيلوا العقبات من طريقه ، وأن يهيئوا البيئة الصالحة لانتشار دعوته ، وحينئذ فلا مناص من الاشتباك ، ولا مفرمن الحرب وقد : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله [1] ﴾ .

وقد عرّفت الآية المؤمنين بأنهم هم ﴿ الذين يقاتلون ﴾ وبينت المبرر للأذن بالقتال بأنهم ظلموا ، ووضحت الراية التى يقاتلون تحتها وهى قولهم ﴿ ربنا الله ﴾ .

ولا توجد فى القرآن آية واحدة تدل على أن القتال فى الإسلام قد شرع لحمل الناس على اعتناقه ، وإنما كان سببه ينحصر فى رد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين ، حتى الآيات التى تحث المؤمنين على القتال تحمل فى ثناياها ما يشير الى أنهم مدافعون وليسوا مهاجمين ، اقرءوا قول الله عز وجل ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ، ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ... وهموا بإخراج الرسول ... وهم بدءوكم أول مرة [2] . وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ... ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين[3] ﴾وإذا كان الإسلام قد أذن لأتباعه بالقتال فى بعض الظروف التى لا مناص من القتال فيها (والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم) .

فإنه قد وضع لهم دستورا فى الحرب ، يصلح أن يكون دستورا للإنسانية كلها لما فيه من رحمة بالضعفاء ، وتكريم للإنسان الذى كرمه الله ، وتحدثنا كتب السيرة أن

---

(١) الحج : ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) التوبة . ١٢ / ١٣ .

(٣) البقرة : ١٩٠ .

سعد بن عبادة صاح يوم فتح مكة فى وجه أبى سفيان بقوله : (اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذلّ الله قريشا) فصحح الرسول هذا القول وقال : يا أبا سفيان : اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله فيه قريشا. وأرسل الى سعد فعزله .

ولا عجب فى ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم هو القائل : (أعفّ الناس قتلة أهل الإيمان [1]. .

وإذا كان الرسول قال ذلك وهو نبى الإسلام ، فلقد قال (جيبون) . وهو من كتاب الغرب (ان الحملة الصليبية قد تركت فى التاريخ أقسى ما عرف من التعصب لا ضد المسلمين فحسب بل ضد مسيحيّ الشرق ، ويكفى أنهم يوم استيلائهم على بيت المقدس ذبحوا سبعين ألف مسلم من بينهم الشيوخ و الأطفال والنساء ويتبين الفرق الشاسع بين هذه الصورة وبين تعاليم الإسلام الى المقاتلين المسلمين بألا يقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة ، والا يجهزوا على جريح بل وألا يقطعوا شجرة يستظل بها ابن السبيل ذلكم هو الإسلام ... انسانى فى حروبه كما هو انسانى فى سلمه.

مجتمع النظافة والنظام

إن من أبرز المظاهر الحضارية للمجتمعات الحديثة ، نظافتها الظاهرة وهى تدل على طبيعتها النقية الصافية ونظامها الملتزم ، وهو يشير إلى بنيانها المتلاحم المتناسق ، وكلا الأمرين . (النظافة و النظام) إن كان مظهرا تراه العين ، وتحسه الجوارح ، فهو قبل ذلك حقيقة مستقرة فى النفوس ، كامنه فى الطبائع ، ثم هى منعكسة بعد ذلك على كل ما حولنا من مظاهر الحياة .

وإن التوجيهات التربوية لتنصف إذ تجعل من الدروس العلمية التى توجه بها سلوك النشء فى مدارسهم الأولى أن يحرصوا على نظافة ملابسهم كما يحرصون على نظافة وجوههم ، وأن يحافظوا على نظام عملهم كما يحافظون على نظام صفوفهم ، وهى فى سبيل المحافظة على النظافة والنظام ترصد الجوائز لأكثر الأبناء أخذا بقواعد النظافة

---

(١) أخرجه ابن ماجه وأبو داود .

والتزاما بأصول النظـام ، بل إنهـا لتجعـل لذلـك يومـا تسـميه (يـوم النظافـة) او (يـوم النظام) .

واذا كان ذلك مظهرا من مظـاهر الحصـارة وعنوانـا مـن عنـاوين المدنيـة ، فإنـه أساس من أسس ديننا الحنيف ... الإسلام ... ، لأنه يجعـل النظافـة والنظـام مظهريـن مـن الخارج .

ولكنهما نابعان من فطرة نفسية منبعثة عن الداخل ، فلقد جاء رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، لينظف العقائد من الزيغ ، والنفوس من الفساد ، والفطـر مـن الالتـواء ، فدعا إلى عبادة الله الواحد ونبذ مـا عداهـا مـن العبـادات التـى لوثـت العقـول وأفسـدت الأفهام ، ولعل فى ذلك تفسير كلمة الحنيفية ، وهى الخالصة النقيـة الطـاهرة مـن شـوائب الرجس والدنس وفى هذا المجال يقول الله عـز وجـل : ﴿ فـأجتنبوا الرجـس مـن الأوثـان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ﴾[2].

والمتأمل للعبادات فى الإسـلام يجـد أنهـا تعـود المسـلمين النظافـة وتدربهـم علـى النظام ، ننظر مثلا الى الصلاة ففيها الالتزام بالوقت ﴿ ان الصلاة كـانت علـى المؤمنـين كتابا موقوتا ﴾ ، والانتظام فى صفوف مستقيمة فإن الله لا ينظـر الى الصـف الاعـوج ، والطاعة الواعية للقائد وهو الإمام مهما كان فما جعـل الإمـام الا ليـؤتم بـه وان المسـلم لا يدخل اليها إلا عن طريق الوضوء حيـث يقـول رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم : (لا يقبل الله صلاة

أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ [3] .

والوضـوء نفسـه طهـارة للنفس ونظافـة للجـوارح ، فإنـه (اذا توضـأ العبـد فمضمض خرجت الخطايا من فيه ، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه .... وهكذا حتى

---

(١) الحج : ٢٠ - ٢١ .

(٢) رواه الشيخان وأبو داود والترمزى .

(٣) من معنى حديث طويل رواه مالك والنسائى وابن ماجه والحاكم .

يخرج نقيا من الذنوب[1].

ليست العبادات فى الإسلام هى المجال الوحيد للنظافة والنظام ، بل ان المسلم مأمور أن يلتزم بهما فى كل أحواله ، وأن يجعلها من عاداته فى كل أموره ، وأن يحرص حتى على زينته ومظهره إن تأهب للذهاب الى المسجد سمع قول الله عز وجل : ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ .

وسمع صوت الرسول يحذره من إيذاء المصلين بالروائح الكريهة (من أكل من هذه الشجرة فلا يقرب مساجدنا يؤذينا بريح الثوم) وعن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته) .

وإن جلس بين الناس جلس بمظهر جميل وسمت كريم ، فعن زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان فى المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية ، فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أخرج كأنه يعنى إصلاح شعر رأسه ولحيته ، ففعل الرجل ثم رجع ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان !) .

إن أكثر المشكلات التى تواجهنا اليوم فى مجتمعنا ترجع الى عدم النظافة أو سوء النظام ، وهذه المشكلات تجابهنا فى الطرقات والمرافق العامة ، والمواصلات ولسنا نحتاج فى حلها الى قانون صارم بقدر ما نحتاج إلى وعى رشيد ، والنظافة والنظام وغيرهما من مبادئ الأخلاق سلوك عملى صادر عن اقتناع شخصى فليقنع كل منا نفسه بهذه المبادئ وليأخذ كل منا نفسه وأهله بهذا السلوك ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

الرزق الحلال الطيب

قال الله تعالى :﴿ يايها الذين أمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون ﴾ (١) .

ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان المؤمنين مكلفون بأن يتخلقوا بأخلاق الله ، فيتحرون الطيب ويتجنبون الخبيث ، وقد خلق الله لنا ما فى الأرض جميعا ، وأودع فينا حاسة فطريه تفرز ثم تقبل أو ترفض ، وهذه الحاسه خاصيه نبيله فى نفس الإنسان ومشاعره ، فهو يميل إلى الشيء تبعا لهذه الحاسه ، وينفر من الشئ الآخر تبعا لهذه الحاسه ، وليس على المرء حرج فيما احب أو كره ما لم يأمر بمعصية أو يقترف ذنبا .

ولقد جاء فى سبب نزول هاتين الآيتين أن أناسا من اصحاب رسول الله ﷺ قد أرادوا أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا فقام رسول الله ﷺ فغلظ فيهم المقاله ثم قال " انما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم فى الديار والصوامع ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به ، وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم بكم " قال ونزلت فيهم ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ﴾ (٢) .

واذا كان الله سبحانه هو الرزاق ، وكان الناس هم محل رزقه ، فأنهم يجب أن يتقبلوا هذا الرزق بقبول حسن ، وأن يستقبلوا نعمة الله بالشكر لتدوم هذه النعمه وتزيد فان الله عز وجل يقول فى كتابه " لئن شكرتم لأزيدنكم " .

وغايه ما فى الامر أن يتحرى المؤمن الرزق الحلال ، والا يقذف إلى جوفه الا طعاما طيبا وشرابا طيبا ، وألا يضع على جسده الا ثوبا طاهرا من مصدر حلال ، فانه بهذا القصد الصالح والنيه الكريمه تتم نعمة الله على الإنسان ، ويتنزل عليه رزق الله

---

(١) المائدة /٨٧ -٨٨ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبى قلابه .

الحلال فلقد ذكر النبى ﷺ رجلا مطعمه من حرام ومشربه من حرام وملبسه من حرام ثم أنه يمد يديه إلى السماء قائلاً : يارب يارب .. يقول الرسول " فأنى يستجاب له ؟ [1]

اى كيف يستجيب الله لمثل هذا الرجل وهو لا يتحرى الحلال فى كل أموره ولقد قيدت الآيه الرزق الحسن الذى يجب أن يتمتع به الإنسان بأنه طيب ، وبأنه قد أحله الله . فما دام هو طيبا فإن الطباع السليمة تقبل عليه ، وما دام الله قد أحله فيجب الا يحرمه الإنسان .

ولقد فتن كثير من العباد والمتصوفة بتعذيب النفس وحرمانها من الملذات ، وكانوا فى ذلك . دون قصد - مقلدين للعباد من بنى اسرائيل ورهبان النصارى الذين ابتدعوا رهبانية فكتبوها على أنفسهم وما كتبها الله ، ﴿ فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ [2] .

وقد زعم بعض هؤلاء المتنسكين أن النفس لا تزكو الا بحرمان الجسد من الملذات والبعد عن كل أنواع الزينه والمتعة .

ولكن الاسلام قد جاء يخاطب الإنسان ويتفاهم مع طبيعته ، ومن ثم فقد كان دينا وسطا لا إفراط فيه ولا تفريط : فهو لم يدع أتباعه إلى الإنغماس فى الملذات والإنسياق وراء الشهوات حتى ينسوا أنفسهم ورسالتهم التى خلقوا من أجلها ، و لم يضرب عليهم نطاقاً من الحرمان والشظف حتى تقصر طاقتهم عن تحمل أعبائه ، ولكنه نظم لهم ذلك ومدح الذين توسطوا فلم يسرفوا و لم يقتروا حيث قال عن عباد الرحمن " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما " [3]

وقد أرشدهم إلى اعطاء البدن حقه والروح حقها ، لأن الإنسان مركب من روح وجسد فيجب العدل بينهما ، وبذلك يتم الكمال البشرى ، وتكون الأمة الإسلامية هى

---

[1] رواه أحمد ومسلم والترمذى .

[2] الحديد /٢٧.

[3] الفرقان /٦٧ .

الأمة الوسط فلا هى عذبت نفسها بالحرمان حتى شقيت بهذا العذاب ولا هى انغمست فى ملذاتها حتى صارت أسير الشهوات .

وقد يقال فى هذا المجال أن صحابه رسول الله ﷺ رضوان عليهم كانوا يعيشون حياة خشنه فيها من الشظف أكثر مما فيها من الترف ، وفيها من البؤس اكثر مما فيها من النعيم ، وقد حرموا أنفسهم من طيبات الحياة الدنيا ..

والإجابة عن ذلك أن هؤلاء الصحابه لم يكونوا على درجة واحدة من الغنى وبسطة الحال ، وأن الموسورين منهم كانوا ينفقون عملاً بقوله تعالى : " لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله : [1] وأما أبوبكر وعمر فقد فرض لهما بيت المال بقدر ما فرض لأوساط الناس .. لا للموسورين ولا للمعسرين ، فكانا يتقشفان ليكونا قدوة لغيرهما من العمال والولاة ، وكان عمر رضى الله عنه يفعل ذلك ويرى أنه بهذا يستبقى ثوابه كاملا عند الله ، فكان يقول أخشى ان يقول الله لى يوم القيامة : " أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها " [2] وهذا اتجاه ألزم عمر به نفسه و لم يلزمه به أحد ، وما كان الله ليحرم طيبات الحياة الدنيا وهى مطروحه أمام الأعين ومبسوطه أمام النفوس : ﴿ قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق . " [3] .

والسؤال هنا - كما يقولون للاستنكار ، أى أن الله لم يحرم على عباده زينة الحياة الدنيا والطيبات من الرزق ، ولكن علينا أن نتأمل وصف نعم الله بالطيبات لنخرج من هذا التأمل فنتحرى الطيب الذى جعله الله حلالا ودعا عباده إلى التمتع به ، والطيب من الرزق كالطيب من الثمار وهو ما نضج وطاب اكله وأصبح مستساغا .. والرزق الحرام يفور بالجسد ثم يغور به ، ويهيج بالمظهر ثم يكون حطاما ، ﴿ كمثل غيث أعجب

---

[1] الطلاق /٧ .

[2] الأحقاف / ٢١ .

[3] الأعراف /٣٢

الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما وفى الأخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ﴾ [1] .

واذا كانت الآية قد أباحت الطيبات من الرزق ودعت المسلمين الى التمتع بها ، فانها بمضمونها قد حرمت السحت من الطعام والشراب ونفرت المؤمنين منه ، وهى بذلك تكون ملكة الإحساس بالحلال والحرام فى نفوس المؤمنين ، وإذا تكونت هذه الملكة النفسية حدد المؤمنون طريقهم فى الحياة : فخلصوا رزقهم من الحرام ، وخلصوا معاملاتهم من الغش ، وخلصوا أقوالهم من الرياء والنفاق .

وإذا كانت الآية قد نهت المؤمنين عن تحريم طيبات ما أحل الله من الرزق ، فقد نهتهم أيضاً عن الاعتداء " ان الله لا يحب المعتدين " ، والاعتداء بالاضافة إلى الإنتهاب واكل الحرام . هو الاسراف فى التمتع وتجاوز الحدود فى الاخذ من الطيبات وقد يستمرئ الإنسان المتعه الحلال فيتجاوزها إلى المتع الحرام ، فلا بد أن يكون له ضابط يحدد تصرفاته ، ولا بد ان تكون له حدود لا يتعداها ولا يتخطاها " ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه " [2]

ولما نهى الله عن تحريم الطيبات بقوله ﴿ ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ أمر بعد ذلك بضد مقتضى النهى الذى قبله فقال : وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا " أى كلوا مما رزقكم الله تعالى اياه حال كونه حلالا فى نفسه غير داخل فيما حرمه عليكم . من الميته بأنواعها والدم المسفوح ولحم الخنزير . حلالا فى طريقه كسبه وتناوله ، فلا يكون ربا أو سحتا أو سرقة .

وليس يراد بإباحه الأكل هنا إباحه الطعام فقط ، بل تناول كل ما هو حلال من طعام وشراب وغيرهما ، ولكنه عبر بالأكل لأنه هو الغالب ولأن الطعام هو الشىء المادى الملموس الذى يدخل إلى الجوف فيقوى الجسم وينميه ، وقد عبر بالاكل فى غير هذا

---

[1] الحديد / ٢٠

[2] الحديد /١

الموضع بقوله ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباكل "[1] ، وقوله " لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾[2] .

ولقد اقتضت حكمه ا لله أن يقبل عباده نعمه فيستعملوها فيما وضعت له ، ويشكروه عليها فيزيدهم خيرا وبركه ، وذلك لأن الكفار يسيئون استعمال النعمه فتحول عليهم نقمه وتصير عليهم وبالا ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا لله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾[3] ويكره ا لله لعباده أن يجنوا على الفطرة التى فطرهم عليها فيمنعوها حقوقها ويحرموها التمتع بالطيبات والكفار يتمتعون بما طاب وبما خبث ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تاكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾[4] ، كما يكره لهم أيضا ان يفرطوا فيها باستباحة ما حرمه أو ترك ما فرضه ، ولذلك فانه لم يكتف بالنهى عن التحريم حتى أمر باستعمالها والتمتع بها ، ودعا إلى الشكر على ذلك بالقول والعمل وان الامتثال بهذا النهى وهذا الأمر ليتحقق بالتمتع الفعلى بما أحل ا لله دون إحساس بالحرج أو ميل إلى الحرمان ، بل لا بد ان يطيب المؤمن نفسا بهذا الامتثال ، لانه حين يمتثل لأمر ا لله فيتمتع بما أحل ا لله انما ينفذ امرا فيه مرضاة ا لله ورجاء أجره ومثوبته ، حتى إذا وجب عليه الشكر وجب لاستعماله النعمة وإحساسه بفضل ا لله عليه فى اجراء الرزق الحلال وهذا خير من عبد حرم نفسه مع ميله الفطرى ، وامتنع مع رغبته الشديدة وانعكس عليه ذلك ضيقاً وتبرماً ان لم يترجم عنه فى الظاهر فانه يحس به شعوراً فى الداخل ، وقد ينهزم أمام هذا الشعور فى بعض الأوقات فتتحطم مقاومته ، ويشتد نهمه ، ويحطم الحواجز ما بين الحرام والحلال . وقد كان رسول ا لله ﷺ يتفقد أحوال أصحابه ، ويأخذهم إلى جادة الطريق إذا هم اسرفوا فى الفهم ، ويهون عليهم العبادة إذا هم اشتدوا على انفسهم ، فلقد أخرج البخارى والترمذى عن ابى جحيفة قال : " آخى

---

[1] البقرة / ١٨٨ .

[2] آل عمران / ١٣٠

[3] ابراهيم /٢٨ .

[4] محمد / ١٢

رسول الله ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء ، فزار سلمان ابا الدرداء ، فرأى ام الدرداء متبذله فقال لها : ما شأنك قالت : اخوك ابوالدرداء ليس له حاجة فى الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال : كل فانى صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تاكل ، فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال : نم .. فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم فلما كان من آخر الليل قال سليمان : قم الآن . فصليا ، فقال له سلمان : ان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه ، فأتى النبىﷺ فذكر - ذلك له فقال : صدق سلمان" فهذا درس فى واقعية الاسلام ومعقوليته فى مخاطبه اتباعه : فهو لا يشق عليهم فى التكاليف ، ولا يترخص معهم فى العبادات ، لا يطلق لهم عنان الغرائز فينغمسوا فى الشهوات ، ولا يلجم فطرتهم البشريه بقسوة الحرمان فيسقطوا فى الطريق ولكنه يحرص على تطهير اجسادهم من السحت كما يحرص على تطهير عقائدهم من الشرك ، ولذلك كله عنوان واحد " النظافة " .. نظافة الضمير ، صفاء المخبر ونضارة المظهر وكثير من الناس لا يربطون بين القصد الحلال والبركة فى الرزق ، فيأكلون ولا يبحثون من أين حصلوا على الطعام ، ويشربون ولا يسألون ما مصدر الشراب ، ويلبسون ولا يتحرون طريقة الحصول على الكساء ، ولا يمنعهم ذلك أن يسألوا الله مع السائلين وأن يدعوه مع الداعين ، وقد يظنون أنهم بركعات خاطفة وسجدات سريعة آخر النهار يمحون ما اقترفوه فى اوله ، وقد وهموا فى هذا الظن ، فان الله لا ينخدع ، لأنه لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء ولا يتقبل الدعاء الا من المتيقن ، وهو سبحانه . إن اباح لعباده أن يأكلوا مما رزقهم حلالا طيبا ، فانه يذكرهم دائما به ليتمثلوا رقابته فيطلبوا رضاه ، ويتجنبوا سخطه ، فهو يقول لهم بعد أمرهمبأكل الحلال الطيب : ﴿ واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾ وحين ينخدع بعض البسطاء بمظاهر الثروة الفاحشة تاتى من حرام ولكنها تزيد وتزيد .. يذكرهم الله بأصل هذه الثروة الشاذة ومصيرها فيقول : " ولا تعجبك اموالهم وأولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون " .

﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما [1]﴾.

إن محبة الله ورسوله هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون وهى قوة القلوب وغذاء الأرواح ، وهى روح الإيمان والأعمال هى التى تصل بالمحبين الى رتبة الواصلين ، وتبوئهم مقاعد الصديقين.

ولقد ذهب أهل محبة الله ورسوله بشرف الدنيا وثواب الآخرة ، لأن القلوب إذا كانت قد جبلت على حب من أحسن اليها ، وإذا كان الإنسان يحب من منحه فى الدنيا معروفا أو صنع به جميلا ، أو دفع عنه مضرة فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول أبدا ، ووقاه من عذاب أليم لا يفنى ولا يحول .

وإذا كان المرء يحب غيره لحسن عشرته أو لحميد سيرته ، فكيف بالنبى الكريم الذى شهد له ربه بحسن الخلق حيث قال : (وإنك لعلى خلق عظيم)[2] ، فقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، وأسبغ علينا بسببه نعمه ظاهرة وباطنة ، فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأكمل من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين .

يقول الله تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين[3] .﴾.

---

(١) النساء : ٦٩ / ٧٠ . (٢) القلم : ٤

(٣) التوبة : ٢٤ .

وليس حب المؤمنين لنبيهم حب جماعة لزعيمهم أو طائفة لرئيسهم ، وإنما هو حب أتباع الرسالة لمبلغ الرسالة ، وحب حملة المبادئ لمعلم المبادئ ، وهو فى النهاية حب يتعلق بالعقيدة أكثر مما يتعلق بالدنيا ، ويتصل بالدين أكثر ما يتصل بالأشخاص ، وينتسب إلى الله أكثر مما ينتسب إلى العباد .

ولقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله . إنك لأحب الىّ من نفسى ، وإنك لأحب الىّ من أهلى ، وانك لأحب الىّ من ولدى ، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، فإذا ذكرت موتى وموتك ، عرفت أنك اذا دخلت الجنة رفعت وخشيت ألا أراك ، فلم يرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم شيئا ، حتى نزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآية ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[1] . ﴾.

وإننا لنجد ألوانا من تعلق التلاميذ بأساتذتهم ، وحب الأمم لزعمائهم ، وفناء الأتباع فى معلميهم فلا نعجب من ذلك ، لأنه لون من الوفاء وتعبير عن الحب المتجرد الذى يتصف به الإنسان حين تصفو روحه وترق مشاعره . ولقد اجتمعت فى شخصية النبى صلى الله عليه وسلم صفات المحبوبين جميعها ، والتقت فيه ملامح العظمة والإنسانية فجذبت إليه القلوب من كل اتجاه ، فلقد تمتع بصفات خلقية قبل البعثة سمى من أجلها بالصادق الامين ، واختاره ربه للرسالة فدق بها على مغاليق القلوب، وقاد المسلمين بهذه الرسالة فنقلهم من الظلمات إلى النور ، وكان بهذه الصفات إنسانا وقائدا ورسولا ، وكان حب المؤمنين له عبادة يتقربون بها الى الله ، وكان القرآن يزكى هذا الحب حين يجلّى صورة النبى فى نفس المؤمنين بقوله : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم[2] ﴾ .

ولعل من اكتمال معانى الإيمان فى نفس المؤمن أن يحب رسول الله ، لأنه بحبه

---

(١) رواه أبو نعيم . (٢) التوبة : ١٢٨

يحب الرسالة التى بعث بها ويدلل على حبه لله الذى بعثه ، فالله عز وجل يقول ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فأتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم[1] ﴾ .

فإن المحب حريص على معرفة المحبوب ومعرفة ما يأمر به وينهى عنه ، ليقرب اليه بمعرفة قدره وأمتثال أمره مع إجتناب نهيه ، ويكون بذلك أهلا لمحبة الله سبحانه ، ومستحقا لأن يغفر له ذنوبه.

ولقد يغر كثير من المنافقين والفساق والعصاة أنفسهم فيدّعون أنهم يحبون رسول الله ، ويطمعون أن يدخلوا الجنة بهذا الحب الموهوم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المرء مع من أحب [2]). وكذب هؤلاء المخدوعون ، لأنهم لو أحبوه لاتبعوه ، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ، وفى مثلهم يقول الله عز وجل : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون : سيغفر لنا ، و إن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون : أفلا تعقلون [3] .﴾.وحب المؤمنين لرسول الله طاعة لله ولرسوله ، وهذه الطاعة هى التى يدخل فيها إيثار حكم الله ورسوله على حكم الطاغوت من أهل الأهواء وهى التى نتعلم منها أن العمل من أركان الإيمان الصحيح ، لأن الإيمان يتوقف على الاذعان فى الظاهر والباطن لحكم الله ورسوله ، حتى يستجيب المؤمن لهذا الحكم فيرضى به قلبه ، وتسلم به نفسه ، ويكون هواه تبعا لما جاء به نبيه ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما [4] .﴾.

فهو الإيمان وهو الطاعة ، وهو الحب كذلك ، وهذه الدرجة من فقه معنى الحب لرسول الله عاليه ، ومن ثم فإن الذى ينالها ليحشر مع الانبياء هم الصديقون

---

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) رواه الشيخان .

(٣) الأعراف : ١٦٩ .

(٤) النساء /٦٥ .

والشهداء والصالحون .

فالصديقون هم الذين زكت فطرتهم وصفت سرائرهم فميزوا بين الخير والشر ، حين يعرض لهم ، ولقد نقل عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه بمجرد ما بلغته دعوة النبى صلى الله عليه وسلم عرف أنها الحق وقبلها وصدق بها ، ولقد وردت الأحاديث الصحاح فى تصديقه للنبى صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس ، ففى حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : (ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له نظرة غير أبى بكر فإنه لم يتلعثم) . فلما كانت مرتبة أبى بكر من مرتبة النبى صلى الله عليه وسلم فى الصدق وتحرى الحق وإيثاره على الباطل ، كان السابق إلى تصديقه ، وبذل ماله ونفسه فى نصره ، ولقد سمى الله الدين صدقا فى قوله :

﴿والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون[1]﴾ . وأما الشهداء فإنهم ليسوا فقط المقتولين فى سبيل الله ، وإنما هم أهل العدل والإنصاف الذين يؤيدون الحق بالشهادة لأهله ، بأنهم محقون ، ويشهدون على أهل الباطل بأنهم مبطلون ، وهم الذين أمرنا الله ان نكون منهم فى قوله : ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ .

وتلك منزلة عالية تسمو نفوس المؤمنين بها درجات ، لأنها جهر بالحق فى مواجهة الباطل ، والتزام لمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبليغه دعوة الله إلى عباد الله عملا بقول الله عز وجل ﴿ فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين[2] ﴾.

والصالحون هم الذين صلحت نفوسهم وأعمالهم ، وغلبت حسناتهم على سيئاتهم و لم يصروا على الذنب وهم يعلمون ، وأولئك أيضا يجمعهم الله فى جنته مع أنبيائه ، لآنهم عرفوا الله فى الدنيا فعرفهم فى الآخرة ، وأحبوا رسول الله فأحبوا رسالته ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ...

فكان هؤلاء جميعا صفوة الله من عباده ، ومن أطاع الله ورسوله كان معهم

---

(١) الزمر : ٣٣ .

(٢) الحجر : ٩٤ .

ومن أحب الله ورسوله وعمل بمقتضى هذا الحب حشر معهم .

وإذن فإن محبة الله محبة لدينه ، ومحبة رسول الله اتباع لمنهجه ، وترسم لطريقه ، فلا يكون هذا الحب ادعاء لا أساس له من العمل ، ولا يكون الانتماء الى المسلمين تعصبا لا أساس له من التقوى ، ولا يكون التعلق برسول الله عاطفة لا أساس لها من اليقين .

فإن الإسلام يربط الإيمان دائما بالعمل ، ويبنى العمل دائما على الصدق ويقيم بناء الجماعة المسلمة على التكافل والتناصر ، والصدق والتناصح ، لا على العصبية ولا على الجاهلية .

وإذا تلونت العصبيات الآن بالقومية أو الإقليمية ، فإن العقيدة تظل هى الرباط بين المسلمين ، تذكر القريب فيهم بالبعيد ، وتربط القوى فيهم بالضعيف ، وتجعلهم بالنسب الربانى خير أمة أخرجت للناس : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

﴿الحمد الله رب العالمين﴾